١٢

وإذ قالت الملائكة يا مريمُ

أطفالنا
في رحاب
القرآن الكريم

آيات
وقصة

الدكتور سعد شلبي



دار الفكر العربي

أطفالنا فى رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة
(١٢)

وإذ قالت الملائكة
يامريم

تأليف
الدكتور/ سعد إسماعيل شلبى

رسوم
صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة
ت : ٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ
(٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي
الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ
قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم
بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) ﴾ [آل عمران].

٤٢- اصطفاكِ على نِساء العَالمينَ: اختاركِ لتكُوني أعظَمَ نِساء الدُّنْيا.

استَمَعَ الأبناءُ الثَّلاثَةُ: أشرفُ، وأيمنُ، وإيمانُ - إلى والدهم.

وهو يقرأ هَذه الآياتِ الكريمةَ ، ثم أقبلوا عليْه يستَمِعونَ إلى قِصتَّها:

قال الأبُ:

- هذه هي: «مريمُ» ابنةُ عِمرانَ يا أبْنائي - الَّتي نَذَرتْها أمُّها لله، وقد أخَذَتْها إلى الأحْبارِ والرهْبَانِ- في بَيْتِ المقدسِ - وقالت:

- هذه ابْنَتي قد نَـذَرْتُها .. خُذوها لتكونَ خَـادمًا في البـيْت المقدَّسِ. ربُّوها، علِّمُوها الدِّينَ، أوصِيكم بِها خيْراً، ثمَّ قبَّلتْها أمُّها، وترَكَتْها وانْصَرَفَت!!



واختلفَ الأحْبـارُ والرُّهْبانُ واختَصَمـوا: كلٌّ مِنْهم يُريدُ أن يأخُذَ هذه الطِّفْلَةَ لِتكَونَ عندَه، فَينالَ شَرفَ تربيتَها وقَالَ:

- أنا أكْفُلُها: أُطْعِمُها، وأكسُوها وأعلِّمُها الدِّين.

وأخيراً قالوا:

- نعملُ قُرعةً فمَن فازَ بها أخذَها.

وكتَبـوا أسماءَهم على أقلامـهم، وألقوْها في النَّهر، ففاز في الـقُرعَة نبيٌّ منْ أنبياء الله اسْمه زكَريَّا، وأعادُوا القُرْعَةَ عِدَّةَ مَرَّاتِ وفي كلِّ مَرَّة يفُوزُ قَلَمُ زكَريَّا.

أخذَ زكريَّا مَرْيمَ وقال:

-إن الله قـد اختـارني لتربيَـة هذه الطِّفَلةِ، وأرجـو أن يوفِّقَني لأربِّيـها تَرْبيـةً صالحَةً: عَلى الإيمان، والتَّقْوى، والصَّلاحِ.

ومرَّت الأيَّامُ وكبرت مَرْيَمُ: وقد علَّمَهـا زكريَّا الصَّلاةَ، وعبادَةَ الله، وبنَى لها حُجْـرةً في (بيْت المقدس) أخـذَت تَتَعـبَّد فـيها، تُسـبِّحُ وتُصلِّي لا تَخْرُجُ مـنها إلا أوْقاتًا قليلةً، تعودُ بعدَها لتواصلَ عِبادةَ ربِّها.

وحدَث ما لم يَكُن تَتوقَّعُ مْريمُ:

هِي في حُجرَتهـا الصَّغيرَةِ. فإذا بصـوْت يُناديها ، ولكنَّها لا تَرَى صاحِبَـه فتتلَّفتُ يمينًا ويسارًا ولا تَجد أحدًا..

الصـوتُ يقـولُ لها: يـا مريمُ ، لا تَخـافي ولا تفْـزَعي ، إنَّنا مَـلائكةُ الله قَـد أرْسَلَنَا الله إليْك.

واستَمعت مَرْيمُ، فإذا الملائكة تقولُ لَها:

﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) ﴾.

﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾.

اهتَزَّ قَلبُ مَريمَ!!

عرَفت أنَّ الله قد رَضى عنْها..!!

لقد اخْتارَها وطهَّرها..!!

لقدْ فَضَّلَهَا على النِّساءِ جَميعًا..!!

وقالت- في نفسها- : لا بُدَّ أن يكونَ الله قد أرادَ لي خَيْرًا كبيرًا!! واجتهدت مَرْيَمُ في عبادَةِ الله: تَصومُ النَّهارَ، وتَسْهَر اللَّيلَ في الصَّلاة.

وكانَت الملائكةُ تُحْضِر لها الطَّعَامَ والشَّرابَ، والفاكِهَةَ ويدخُلُ عليها زَكَرِيَّا، فيقولُ مُتَعَجِّبًا:

- يا مَرْيمُ منْ أيْن لَكِ هذا؟!

فتُجيبُ مَرْيَمُ: ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) ﴾ .

فيقول زكريا في نَفْسِهِ لا بدَّ أن يكونَ لمريَمَ شأنٌ عظيم!!



وتحقَّق ظنُّ مَرْيم، وظنُّ زكَريَّا!!

فَكانت البُشْرَى العظيمَةُ - يا أبنائي - عندما جاءَتها الملائكَةُ قائلةً:

﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) ﴾.

أندهشَت مَرْيَمُ من هذه البُشْرَى، وأخَذَت تَدْعُو الله وتَسْتَغيثُ به، ثُمَّ اسْتَولَت عَلَيْها الحَيْرةُ.. إنَّ الله يُبَشِّرُني بكلَمَة منه: ﴿ الْمَسِيح عِيسَى ﴾.

سيُطهِّرُه الله، ويغْسلُه من الذنُّوب، فهو المسيحُ الَّذي لا يُذْنِبُ أبدًا، وسَيكونُ الوجيه العَظيمَ في الدُّنيا عِنْد النَّاسِ، وفي الآخِرَة عِنْد الله.

أهَذا هو ابْني أنا؟ ما أشَدَّ هَذَا الأمْرَ عَلَيّ وأنَا الفَتاةُ التى لم تَتزوَّجْ بعْد!!

وكانت مَريَمُ تعرفُ ﴿التَّوْرَاة﴾ الكتابَ المقَدَّسَ الَّذي أنْزلهُ الله على سيِّدنا مُوسَى. وعرَفت قِصَّةَ أبينا آدَمَ، خَلَقه الله من غَيْر أبٍ ومِن غَيرِ أمٍّ!!

فأخذت تُردِّدُ في نفْسِها:

﴿آدمُ﴾ مِن غيْر أبٍ ومن غَيْر أمٍّ!!

﴿حواءُ﴾ مِن غَيْر أمٍّ!!

فكَيْفَ يكونُ وَلَدي؟

إن الله يقولُ لي: ﴿ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾.

تُرَى أيكونُ لي ولَدٌ من غَيْر أب؟!

وتوجَّهت إلى الله، ورفَعت يَدَيْها إلى السَّماء تدعُو في خَلْوَتها، وترجُو الله أن يُنقذَها مِن حيْرتها وقالت: ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾.

فنزلَ عَلَيْها الملَكُ.. وقال: ﴿ ذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) ﴾.

قالت إيمانُ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾ !!

وقال أيمُن: ومَاذا حدَث بعد ذَلِكَ يا أبى؟

أجاب والدهما:

- وبَيْنَما كَانَت مَرْيمُ تَتَعبَّد فِي وَحْدَتِها، جاءَها الملكُ جبريلُ- عليه السلام- في صُورَة إنْسَان.

رأتْهُ بجوارهَا فجْأةً، فَفَزعت مريمُ وخافَتْ، وقالتْ في دَهْشَةٍ وخَوْف:

- أعُوذُ بالرحْمن مِنْكَ إن كُنْتَ تقيًّا!!

ماذا تُريدُ مِنِّي؟! ومِن أينَ دَخَلْت؟!

الله يَحْفظُني مِنك إن كنْتَ تُريدُ بي شرًّا!!

فأذْهَبَ جبريلُ - عليه السَّلامُ - خَوْفَها وطَمْأنها عِندما قَال لَها:

﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) ﴾ [مريم].

وتقدَّم جبْريلُ - عليه السَّلامُ - إليها، ونَفَخَ في كُمِّها، وتَركها وانْصَرف.

وفي الحَـالِ - يا أبنائي - أحسَّت مَـرْيَمُ أنَّهـا تحْمِلُ جَنِينًا في بَـطْنِها، ومـرَّت أيَّامٌ قليلةٌ شَعَرت مرْيمُ بعدَها بأنَّ ولَدَها قد اكْتَمَل في بطْنها!!

تركت خَلْوَتها - الَّتي كانَت تعْـبُد الله فِيها- وتوجَّهت إلى الصَّحـراء، وسارت بعيدًا عن النَّاسِ - لا أحَدَ بجِـوارِها ، ونادَت ربَّها خاشَعـةً باكِيَةً: ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) ﴾.

ربِّ، ماذا أصْنَع؟ أسْتَغِيثُ بِكَ، إنَّني وَحْدِي لَيْسَ لي إلاَّ أنْتَ، فارْحَمْني وَكُنْ مَعِي.

***

أمْسَكَت بجِذْعِ نَخْلَةٍ.

وكانت نَخْلَةً قديمَةً، جافَّـةً ، قد خَيَّم عليْها العَنكبوتُ ، ولكن سَرعـان ما عادَتِ الحياةُ إلى هذه النَّخَلِة، فاخضرَّت ، وأثمَرت وأصبَحَ لها ظِلٌّ يحْمِي مريَمَ مِن حَرارَةِ الشَّمْسِ.

وهزَّت مريمُ جِذعَ النَّخلِة فتَساقَط علَيْها «رطَب» لَذيذ..

وولَدت مَـريمُ ، ووضَعت ابْنَهـا في حِـجرِها، وأخَـذَت تنظُرُ إليْـه ، وينظُرُ هُو إليْهـا، والرُّطَبُ يتساقَطُ فتأكُلُ منه، واللَّبَنُ يتدفَّقِ غِذاءً شَهِيًّا لِولَيدِها.



وكان «عِـيسَى» منْذُ طفولتـه جَميلاً وَجِـيهًا فَنَظَرتْ إليْـه فرأتْه مُشْـرِقًا كالنُّور، مُـضيئًـا كالبَدْر، يُحِـيطُ به الحسْنُ والجَـمـالُ ، فـانْحَنت إلـيْـه، وقَـبَّلَتْـه وأخَذَت تُردِّدُ قَوْل الملائِكَة لَها:

﴿إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥)﴾.

ومَرَّ عَلَيْها جَماعةٌ مِن رُعاة الغَنَم فَقالُوا:

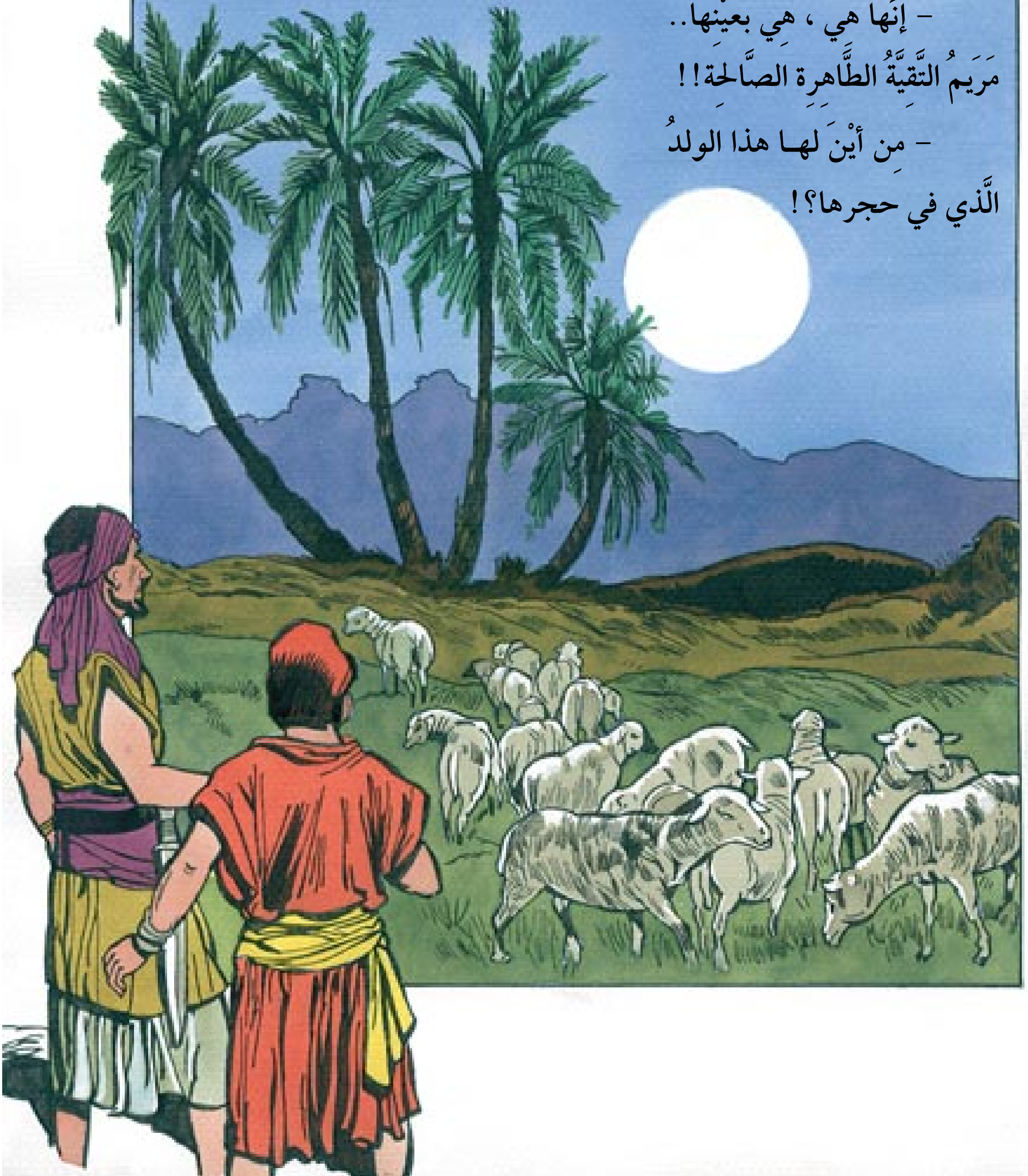
– عَجَبًا نَخْلَةٌ خَضْرَاءُ، عَلَيْها تَمْرٌ ، ولَها ظِلٌّ، ما كانت هكَذا بالأمْسِ! !

– إن تَحتَها امرأةٌ تَضَعُ وَلِيدها في حِجْرِها ! ! إنها وَحْدَها..

– عَجَبًا! ! مَن هذه ؟! ألَيسَت هذِه مريمَ ابنَة عِمْران؟!

– إنَّها هيَ ، هِي بعَيْنِها..
مَرَيمُ التَّقِيَّةُ الطَّاهِرة الصَّالِحَة! !

– مِن أيْنَ لها هذا الولدُ
الَّذي في حجرها؟!



ورأتْهم مرْيمُ يقْتَربونَ منْها ، فخجلت، وتَصَبَّبَ منها العرَقُ.

- مَاذا يَظُنُّونَ بِي ؟! ماذا أقولُ لَهُمْ؟!!

فإذا الملائكَـةُ تُناديها : يا مَـريُم قُولي : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَومًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) ﴾.

حدَّثها رُعاةُ الغَنَم:

- مريمُ.. ما الذِي جاء بكِ إلى هذا المكانِ؟

- ما قِصَّةُ هذه النَّخْلَة؟

- ابنُ مَنْ هذا الَّذي في حِجْرك؟!

- من أيْنَ جئْتِ به يا مَرْيم؟!

أخبرينَا، مَالكِ لا تَرُدِّيـنَ علَيْنَا ، إنَّنا في حَيْرةٍ من أمركِ!! أتَقيَّةٌ أنْتِ أمْ غَـيْرُ تقِية، أطاهِرَةٌ أنْتِ أمْ غيرُ طَاهِرةٍ؟!

ولكِنَّها صمتت عن الكلامِ، فلم تَرُدَّ علَيْهم بكَلِمةٍ فتَركَها الرُّعاةُ وانْصرَفُوا.

انْصَرَفَ الرُّعَاةُ، وقد ظَنُّوا بها الظُّنُون.

قالت إيمانُ: مَا أشَدَّ حَيرتَها!! وما أقسَى هذَا الموقِفَ على نَفْسِها!!

وقال أيمَنُ: كان الله في عَـونِها!! وماذا تَفعلُ عِندمَا تحْـمِلُ وَليدَها وتَرْجعُ به إلى قَوْمِها وأهْلِها؟!

* * *

رجَعَتْ مـريمُ إلى مدينَة «أورشليـمَ» وهي تحمِلُ طفلهَـا الرَّضيعَ على يَديْهـا وقد ضَمَّتْه إلى صَدرِها، وكانت في غَايَةِ الحياءِ والخَجلِ!!

وتهامَس النَّاسُ: مَن هذه؟!

- هذه مَريمُ!!

- ماذا تحْملُ علَى يدْيَها؟!

- ابنُها.!!

- من أيْنَ أتَتْ به؟!

- لا نَعْرِف!!

- من أبوه؟ ومَتَى تزوَّجَت؟!

- لا نَدْرِي!!

سألُوها: يا مَريمُ منْ أينْ لَك هذا؟!

استهزأُوا بها، لقد ارْتكَبْت خَطأً كَبيراً يا مَرْيمُ!!

كانَ أبوكِ عمْرانُ رجُلاً طيِّبًا، وكانت أمُّك سيِّدةً تَقيَّةً صالحةً!!

متَى حَملْتِ يا مَرْيمُ؟! ومتَى ولدْت؟! أخبرِينا مَنْ والدُ هذا الطِّفْل؟!

سكتَتْ مريْمُ، ولم تَرُدَّ، وأشارَت إلَيْه، وكأنها تقولُ لهم: لا تُكَلموني أنَا، ولكِنْ كلِّموا هَذا الطِّفْلَ.

فقالُوا، وَهُم في غايَة الدَّهْشَة منْها، والسُّخْط علَيْها:

- كيفَ نُكلِّمُ مَنْ كَانَ في المَهْد صبيًّا؟!

فإذا بالطفْل الصَّبيِّ يتكلَّمُ والنَّاسُ يسْتمعُون إليْه، قال:

- ﴿ ... إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) ﴾ [مريم].

تَعجَّبَ النَّاسُ!! وأقبَلُوا على الطِّفل !! يُشاهدُونه، ويأسَفُونَ لأنَّهم أهانوا أمَّه، وقالُوا لقد أخْطَأنا يا مريمُ فاغفِري لنا ذُنُوبَنا!!

بماذا سَمَّيْت طِفْلَك يا مريم؟!

فأجابت: أنَّا لم أسَمِّه ولكنَّ ربي هُو الذي سَمَّاه..

- وبماذا سَمَّاه ربُّك؟!

- سمَّاهُ : «المسيحُ عِيسى».

وانْتَشَر الخبرُ في مَدينَة «أورشليمَ» وانتَقَل منَها إلى أنْحَاء فلسطينَ، وسمِعَ النَّاسُ عنْه في البلادَ المجاورَة، فجَاءُوا من المُدنِ والقُرى يَحملُون الهَدايا إلى مَرْيمَ وابَنْها «المسيحِ عيسى» سَيِّدهم ونبيِّهم.



وعلمَ بنو إسرائيلَ بالخَبر، وسمعُوا النَّاس يَقُولون:

– هذا رَسُولنا من بَعْد مُوسى، سيُعلِّمُه الله الكتاب والحكْمَةَ، والتَّوراَةَ.

هَكذا قالت أمُّهُ.. وأمُّه لا تكذبُ.

فكذَّبهم بنُو إسْرائيلَ، وقالُوا : لا نبيَّ مِن بعدِ مُوسى، إنَّا نؤمن بموسَى وحْدَه، وهُو النَّبيُّ، ولا نبيَّ بَعدَه.

وأسْرَع فريقٌ منهم إلى مَلكِهم يقُولُون:

– صبَيٌّ قد وُلدَ.. يُكَلِّمُ النَّاسَ في مَهْدِه، ويقُولُ النَّاسُ عَنْه إنه رسولُنا ومَلِكُنا ، ولا مَلِكَ لنا غيرُهُ!!

وإنَّا نَخاف عَلى مُلْككَ منْهُ؛ فأسْرعْ يا مَولانَا واقتُلْ هَذَا الطفْلَ قَبْلَ أنْ يكبُرَ، ويلتَفَّ النَّاسُ مِنْ حولِه، ويكونَ خطَراً عَلَى الدَّولَةِ!!

إن الزمن يمر بسرعة يا مولانا، فانتهزْ الفرصة قبل فوات الأوان.



ومرَّت الأيَّامُ ، والطفل يَنمو ، وَملكُ بني إسرائيلَ يَرْصُدُ حَوْلَهُ الجَوَاسيسَ ليعْلَم أخبارَه أوَّلاً بأوَّلٍ، فعَرَفَ حُبُّ النَّاسِ لَهُ، وإقبالَهُمْ عَلْيه، وإيمانَهم بِهِ، وهُوَ لا يَزَالُ طِفْلاً صغيراً.

فقالَ – في نَفْسِه – : لو سَكتُّ على هذ الطِّفْلِ، فتركْتُه حتى يَكْبرُ أخذ منِّي المُلْكَ، ومن يدْري؟!

ربَّما قتلني !!

وقال لرجالٍ من حاشيته:

– هذا الطِّفْل الَّذي يسمُّونه (المسيحَ عيسى) لا بدَّ أن نتخلَّصَ منه، احْملوه إليَّ ، حيًّا أو مَيتًا.. أُريد أن أسْتَريحَ من شَرِّه.

فردُّوا على الفَوْر: سَمْعًا وطاعةً يا مولانا.



وجاءت الملائكَة بأمْر من الله وقالَت:

- يا مَريمُ اخْرُجِي من فلسطينَ ، واذهَبي إلى مصرَ.

فأسْرَعت مَريمُ ، ومَعها طفْلُها ، لقد خرجت في ظَلامِ اللَّيْل، والنَّاس نيامٌ فلم يُحسّ بها أحدٌ، وأَخَذَت تقْطَعُ الصَّحاري والوديانَ ، تاركةً فلسطين وراءَها واتجهت إلى مصْرَ ، تسيرُ باللَّيْل، وتستريحُ بالنَّهار، فتجلسُ في ظلِّ الأشجار وتأكل من ثمارِها.

وتساءَل النَّاس في (أورشليم) أيْن مريمُ وابنُها، إنَّنا لا نجد لهما أثرًا!!

ونزلت مريمُ أرضَ مصْرَ، فأحسَّت بالأمْن والأمَانِ، فأخذَت تعملُ في الحقولِ والمراعي، وتشْتري بأجرها غذاء وكسْوَةً لها ولابنها عيسَى.

وفي مصْرَ تعلَّم عيسَى القراءَةَ والكتَابةَ، وصَاحَبَ الصِّبيانَ في الكتَاتِيبِ فأحبَّهم وأحبُّوه.

وكان يتعلَّمُ في اليَوْم ما يتعلَّمُ غيُره في أيَّام، وكانَ يُساعد زُملاءَه فأُعْجبَ به مُعلمُه، وأحبَّه أصدقاؤُه، وكثيرًا ما كانوا يَلْتفُّونَ حوله ليتمتَّعُوا بأحاديثِه اللَّطِيفة.

كانَ يُخبرُ أصدقاءَه بما أكَلوا فِي مَنازِلهم إذا رَجَعوا إليْها!!

ثم يَعودُون وكلُّ وَاحدٍ منهم يُخبرُ أمَّه بما جَهَّزتْه لَه مِن طَعامِ الغَذَاء والعَشاءِ- وهُو لا يزَال على بابِ منْزِله.

قال الآباءُ والأمَّهاتُ لأولادِهم:

- من أخبرَكمُ بهذا؟

فأجابُوا: صَديقُنا «عيسى المسيحُ» !! يُخبرُ كُلَّ وَاحد مِنَّا بما أكلَ في منزله، وبما سَيأكُلُ بَعد عوْدَتِه، وكأنَّه - وهُوَ معنا- يَرى بعْينه ما في بُيُوتِنا!! فاشتاقَ إليْه الآبَاءُ والأمَّهاتُ.

وأَخذُوا يسْـألُونَ عنْهُ ، ويَتناقَلُونَ أخْـبارَه ، فـعرَفوه، وعـرفُوا أمَّـه وتَزاحَمَ النَّاسُ عَلَيْه، وأخذُوا يقولُونَ:

- إنَّه صَبِيٌّ لَطيفٌ.

- صَبيٌّ في سِنِّ الصِّبيانِ ولَه عَقْلٌ مِثلُ الرِّجَال.

- من أيْنَ يأتي بعِلْمه؟!

- لابُدَّ أن تكونَ الملائِكَةُ هِي الَّتي تُعَلِّمُه!!

- إنَّ الله قد بارَكَ فِيه.. وساقَ لنا خيرًا كَثيرًا علَى يَدْيه.

ومـرَّت الأيَّامُ يا أبْنائي ، وتَتابعتِ الـسَّنواتُ، فكَبَر عـيسَى، وجـاوز العاشَـرِة من عُمْره.

وأمُّه تنْظُر إليْـه، وتحوطُه بعنايتهَا ، وتـخافُ علَيْه .. إنها تَعْلَمُ أنَّه سَـيكونُ رَسولاً إلى بني إسْرائيلَ، ولا بُدَّ أن تَترُكَ مصرْ طالَ الزَّمانُ بها أو قَصُر.

ومـرّت سَنَوات أخـرَى.. ومات الملكُ الـظَّالم الَّذي كان يُـريدُ أن يقتُل عـيسَى، وجاء مَلِكٌ جَدِيدٌ، شغله المُلْكُ عَن كلِّ شَيْء.

وزادَ شَـوْقُ مريمَ إلى فلسْطينَ، وتمَنَّتْ أن تَعـود إليْـهَا . وأهْلُ فلسْطِينَ لم ينْسَـوْا عيسى!!

إنَّ الحديثَ عنهُ ظلَّ يتردَّدُ في كُلِّ منْزل، وفي كلّ جَماعَة..

فازدَاد تعلُّق النَّاسِ به مع الأيَّامِ، واشْتَدَّ شوْقُهم إليْهِ وأوْحَى الله إلَيْها:

يا مرْيمُ إن الله يأمُرُك أن تَعـودي إلى فلسْطِينَ، فاستْجـابَت إلى أمرِ الله، فودَّعَت مصْرَ كَـمَا ودَّعها المسـيحُ وَكُلُّه حُبٌّ لهَا، وعَزَّ على مِصْـرَ والمصريِّين أن يتركهـا المسيحُ وَأُمُّه!!

ودَخل المسِيحُ عـيسَى وأمُّه فلسْطينَ، فأسْـرَعَ الرُّهبانُ والأحْبارُ إلى اسـتقبالـهما، وفرِحَ النَّاس بهما، وجاءُوا إليهما من كُلِّ ناحِيةٍ يرحِّبون..

وتوجَّهت مَرْيَمُ إلى بيْتِ المقدسِ، وَذَهبتْ إلي محرابها وأخَذَت تَعْبُد الله وعينُها علَى ولَدِها، ورفَعَتْ يديْها إلى السَّماءِ تدْعُو ربَّها أن يحْرسُه ويرعاهُ.

أمـا «عـيسى» فـكانَ يجلسُ مع العُلمـاءِ الكبـارِ من الأحْـبار والـرُّهبانِ، ومـعَـه أصدْقاؤه الَّذينَ أحبُّوه والتفُّوا حولَه.

وتعجَّبَ الجمِيعُ مِن هذا الفَتى الصَّغيرِ الَّذي لم يتجاوَزْ الخامسَةَ عشْرَةَ من عُمرِه، ويعرفُ من العُلومِ ما لَم يعرِفْهُ كِبارُ الأحْبارِ، كان يُناقشُهم ويتفوَّق علَيْهم.



وَشَبَّ المسيحُ عِيسَى وترعْرَعَ، ومرَّت الـسَّنواتُ وصَار عمُره أكثرَ من ثلاثين عامًـا، وفي هذا العُمْـرِ كان يحـفَظُ التَّوْراةَ، ويشـتهر بالحـكمْة، ويُكثِر مـن الصَّلاةِ والصِّيـامِ، ويُعلِّمُ النَّاسَ الأخْلاقَ الطَّيـبة، ويَعْطفُ علَى المحـتاجينَ وعلى الفُـقراءِ والمسَاكين.

ونَزل الملَكُ «جبريلُ» علَى «عيسَى» وأَخبَره أَن الله -سُبحانَه وتعالَى- قد اختارَه ليكونَ رَسولاً إلى بَنى إسرائيلَ، وقال لَه:

- يا عيسَى: إنَّ الله قد أَعطاكَ الحكْمةَ، وعلَّمكَ التَّـوراةَ، وسيُنزِلُ عَليْكَ «الإنْجيلَ» فيه هِدايَةٌ لِبَنى إسْرائيلَ، وسَيَنْصرُكَ الله ويؤيِّدُك بمُعْجزاتٍ مِنْ عِنْده.

أخبرَ عيسَى أمه بما رأى ... فقالت:

- أبشرْ يا بُنَيَّ.. وقد بَشَّرَني الله بذلَكَ قبْلَ أن تُولَدَ ، وبَعد أن وُلِدتَ.. وقد قُلْتَ ذلِكَ للنَّاسِ وأنْتَ لا تَزالُ في مهْدك صبيًّا.

بَارَك الله فيكَ، وأعَانَك علَى نَشْرِ الموَدَّة والمحبَّةِ والسلام بيْن النَّاسِ.

ونَفَّذ عيسَى أمْرَ ربِّه، وأخَذ يدعُو النَّاسَ إلى الإيمان بالله فآمَن بِهِ أَصْحابُه، وصدَّقُوا بما جاءَ به، وآمَنَ به فَريقٌ من بَنى إسْرائيلَ، وكفَر فريقٌ ، وقالُوا:

- يا عيسى ... رَسُولُنا هو مُوسى، ولا رَسُولَ غَيْرهُ.

وكتابُنا هو الـتَّوراةُ الَّتي أنْزَلها الله عَلَيه، ولا نعـرفُ شيْئًا اسْمُـه الإنجيلُ لن نُؤمنَ بك، ولن نُصدِّق بكتابك حتَّى تُقدِّم لنا الدَّليلَ الَّذي يبرهِن لنا على أنَّك رَسولٌ من عِنْد الله.

فأجابَهم «عيسى» : الدَّليلُ علَى ذلك:

﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾.

قالوا: إن فَعَلْتَ ذلكَ آمَنَّا بَك..

فأمسكَ عيسَى الطِّينَ، وصنَع مِنه نماذِجَ لعِدَد من الطَّيْـرِ ثُمَّ نَفَخَ فيها قائِلاً: كُوني طَيْرًا بإِذْن الله!!

فكانت طَيْرًا، وحَلَّقت في الفَضَاء.

فزاد إيمانُ أصْـحابِهِ، وصَـدَّقه فَـريقٌ مِن بني إسرائيـلَ وعانَدَ فريـقٌ وقالوا: هذا سِـحْرٌ مُبِينٌ!؟

وأخذَ عيسَى عليه السَّلامُ يَدْعو قومَه، ويُحقِّقُ الله على يَدْيِه المعْجرات:

***

جـاءَه النَّاسُ مِن فلـسطِينَ، ومِن غـيـرِ فلسْطينَ ومَـعَـهم المـرضَى، وَفـيـهم الأعْـمَى والأبرصُ، منَ الرِّجالِ والنِّساءِ، والصبـيانِ، فباركهم عِيسَى، ومَـسَح بيدِه عليهم، ودَعَا لَهم بالشّفاءِ فشفَاهم الله، وأذْهَب عَنْهُمُ الأمْرَاضَ، وأعَادَ إليهم الصَّحةَ والسَّلامَةَ.

***

وانَتَشـرَ دِينُ المسِيح وآمَنَ بِهِ خلقٌ كـثيرٌ، وجَلسَ وسَط تلامـيذِه يُمْلِي عليـهم الإنْجيلَ وهم يَكْتُبونَه في صحـائِفهم.. وكلَّما زادَ عددُ أصحابِه زادَت والدَتُه فـرحًا وسرورًا وأخَذَت تشكُرُ الله الَّذي جعَلَ ولدَها سيِّدًا وَنَبيا من الصَّالحين.

***



وبَقِي فَريقٌ من بَنِي إسَرائيلَ يا أبنائي في عِنادِهِم.

وكانَت قلُوبُهم كالحجارَةِ أو أشَدَّ قَسْوةً!!

وماتَ واحدٌ من أصدقاء المسَيحِ، اسْمُه «ألِغازر» فانْتَهزَ هَؤلاءِ المعانِدُون الفرْصَةَ، وتَحدَّوا سيِّدنا عِيسَى عَلَيْه السَّلامُ وقالوا:

– أعِدْ الحياةَ إلى صَديقك إن كُنْتَ من الصَّادقِينَ يا عِيسَى!!

فدَعا عيسَى ربَّه، ومسَح على جسَد صديقه، فعادَت رُوحُه إليْه وجلَسَ في الحالِ بَيْن يَدَيه، وأخَذَ يُكرِّرُ الشَّهادَةَ أن عيسَى رسولُ الله!!

وفي اللَّحْظة الَّتي أحْيا فيهَا عيسَى صَديقَه جاءتْه امرأةٌ عَجوزٌ ماتَ وَحيدُها الَّذي كان يَسْعى على رِزْقِها، ويَسْهر على خِدْمَتها.

وصَرخت الْعجُوزُ، واسْتغاثَتْ بالمسِيحِ، وَسَقطتْ بَيْن يَدَيْه باكيةً:

– يا عِيسَى .. ماتَ وَلَدِي الوحيدُ، فادْع ربَّك عَسى أن تَعودَ الحياةُ إليْه، فليْسَ لي غيرُه!!

فدعا عيسَى ربَّه، والنَّاس من حَوْله يَسْمعُون ويبصرونَ، وشاهدُوا ابنَ العَجوز، وقد عادَت الرُّوحُ إليْه، ثمَّ جلَسَ، وأمْسَك بيدِ أمِّه، فَذُهِلَ الحاضِرونَ، وأعْلَنوا إيمانَهم به وتصْديقَهم برسالتِه..

***

وكثُر الزِّحامُ حَولَ عيسَى عليه السَّلامُ!! وجاءَه النَّاسُ فُرادَى وجَماعاتٍ وعيسَى يُنادِي فِيهْم:

– يا أيُّها النَّاسُ: اعْبدُوا الله – ربِّي وربَّكم، وصدِّقُوا بما جاء في الإنجيل فهو الكتابُ الَّذي نَزَلَ عليَّ من عند ربِّكم، واعْلَمُوا أنَّني لا أصنَع شيْئًا إلا بإذْنِ الله:

– فخالقُ الطَّيْرِ هُوَ الله!، وشافي المرْضَى هُو الله!، ومُحْيي الموتَى هُوَ الله!

فأجابَ أتباعُه:

– ونَحنُ قَدْ آمَنَّا بالله!!

وتكدَّسَ النَّاسُ حَوْلَ عيسَى:

- هؤلاءِ يؤْمنونَ به ، ويُفْدُونَه بأرواحِهم ودمائِهم! ويُدافعون عَنْه وَيَنْصرُونه!!

- وهؤلاءِ قد أصَابَتْهم الأمْراضُ، فأَقبَلُوا يَرجُونَ من الله الشِّفاءَ.

- وهؤلاء يجْتمعون حوله ليشاهدوا أغْرَبَ وأعجَبَ المعْجِزاتِ!!

ومن بَعيد وقفَت «مريمُ» التقيةُ الطَّاهرةُ الصَّالحةُ.

تَتَلهَّفُ شَوْقًا إليْه تنظرُ من بعِيدٍ وتَتَمنَّى أن تَجْلِسَ بجِوارِه، ولكنَّها لا تَسْتَطيعُ أن تشُقَّ إليْه الزِّحامَ.

فتفيضَ عيْنُها بالدُّموع!!

دُموعِ الحَنَان والشَّفَقَة!!

ودُمُوعِ السُّرور والفرْحَةِ!!

ودُموعِ الشُّكر لله، الَّذي اختارَها لِتكُونَ أمًّا للسَّيِّد المسِيح رَسُولِ المحبَّةِ والسَّلامِ.



أسئلة القصة

س١ - اختارَ الله زكريًّا عليه السلامُ ليكفلَ مريمَ ابنةَ عمرانَ، فهلْ تذكرُ قصَّةَ هذَا الاختيارِ، وكيف كفلَهَا زكريًّا؟

س٢ - كانت الملائكةُ تخاطِبُ مريمَ وهِيَ تُصلِّي في المحرَابِ فما هِيَ الجملةُ المشهورَةُ من هَذَا الخطابِ؟

س٣ - أكرَمَ الله مريمَ إكرامًا لا مزيدَ عليْه، وظهرَ ذَلكَ لزكريًّا عليه السلامُ حتَّى أبدى عجَبَهُ لمريمُ وقال لهَا «يا مريمُ أنَّى لكِ هَذَا»؟ فما الَّذي كانَ زكريًّا يسألُ عَنهُ.. وبماذَا كانتْ مريمُ تجيبُه؟

س ٤ - كيف ظهرَ جبْريلُ لمريمَ، وما الكلامُ الَّذي دارَ بينْهَما؟

س٥ - تكلَّمَ المسيحُ عليه السَّلامُ وهَوُ في المهْدِ، فماذَا قَالَ؟

س٦ - مَتَى جاءَ المسيحُ إلى مصْرَ.. وما الَّذي كانَ يفعَلهُ فيهَا، وما معجزاتُه الَّتي كانَ يظهرُها للصِّبْيَانِ الَّذين يتعلَّمون مَعَه؟

س٧ - عَاد عيسَى عليه السَّلامُ إلى فلسْطينَ، وكانتْ لَهُ هُنَاكَ معْجِزاتٌ اذكرْ أهمَّ معجزاتِهِ الَّتي تعرِفُها..

درس النحو

الإعراب والبناء

بَعَدَ أنْ ألقَى الوالدُ أسئلتَهُ عن القصَّة التَّى رواهَا لأولاده قالَ:

الإعرابُ هَو تغييرُ آخِرِ الكلمةِ باختلافِ العوامِلِ الداخلةِ علَيها تغييرًا ظَاهِرًا أو مُقدرًا.

والبناءُ هو ألاَّ يتغير آخِرُ الكلمةِ باختلافِ العوامِلِ الدَّاخِلَةَ عَليها، بلْ تلزَمُ حَالةً واحدةً.

قال أيمنُ: وما معْنى كلمةُ «العوامِل»؟

قال الوالدُ: العاملُ هو الكلمةُ التي تسبقُ غيرَها فتكونَ سببًا في تغييرها من حالةِ الرفْع إلى النَّصب أو الجرِّ أو الجزْم.

فمثلاً نقولُ: محمدٌ تلميذ مجتهدٌ، إذا سَبقَها لفظُ «إنَّ» نقولُ إنَّ محمدًا تلميذٌ مجتهدٌ، وإذا سَبقَها حرف جرٌّ نقولُ: أعجبتُ بمحمد التلميذ المجتهد.

وهكذَا.. وهذه القواعِدُ ستعرفونها كلما تقدَّمنا في الدُّروسِ الآتيةِ إنْ شاءَ الله..

قَالَ أشرفُ: نُريدُ أمثلةً لبعضِ الكلماتِ المبنية.

قال الوالد: كلمات مثل: جاء، فتح، انظر، هذا ، هؤلاء ، حيثُ.. كلُّها كلمات مبنيةٌ يلزمُ الحرفُ فيها حالةً واحدةً.. مهما اختلفتِ العواملُ الداخلةُ عليْه..

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

١ - الفاتحة أم الكتاب
٢ - خليفة الله
٣ - يا بني إسرائيل
٤ - بقرة بني إسرائيل
٥ - هاروت وماروت
٦ - بيت الله
٧ - قبلة المسلمين
٨ - وقاتلوا في سبيل الله
٩ - طالوت وجالوت
١٠ - قدرة الله
١١ - امرأة عمران
١٢ - وإذ قالت الملائكة يا مريم
١٣ - ابنة عمران
١٤ - عيسى في السماء
١٥ - نصر الله
١٦ - اختبار الله
١٧ - حياة الشهداء
١٨ - صلاة الحرب
١٩ - الأرض المقدسة
٢٠ - قابيل وهابيل
٢١ - مائدة من السماء
٢٢ - هل يستوي الأعمى والبصير
٢٣ - إبراهيم يبحث عن الله
٢٤ - بنو آدم والشيطان
٢٥ - أصحاب الجنة وأصحاب النار
٢٦ - نوح عليه السلام وقومه
٢٧ - هود عليه السلام وقومه
٢٨ - صالح عليه السلام وقومه
٢٩ - لوط عليه السلام وقومه
٣٠ - شعيب عليه السلام وقومه
٣١ - موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
٣٢ - قوم موسى وقوم فرعون
٣٣ - موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٣٤ - بنو إسرائيل عبدوا العجل
٣٥ - سفهاء بني إسرائيل
٣٦ - موسى عليه السلام والأسباط
٣٧ - ضحية الشيطان
٣٨ - دفاع عن الرسول
٣٩ - وعد الله
٤٠ - توزيع الغنائم
٤١ - قوة الصابرين
٤٢ - أسرى بدر عتاب وفداء
٤٣ - يوم الحج الأكبر.
٤٤ - يوم حنين.
٤٥ - عزير آية الله للناس.
٤٦ - الشهور العربية والأشهر الحرم.
٤٧ - وإذ يمكر بك الذين كفروا.
٤٨ - لا تحزن إن الله معنا.
٤٩ - المنافقون في المدينة.
٥٠ - خذ من أموالهم صدقة.
٥١ - مسجد التقوى ومسجد الضرار.
٥٢ - المسلمون في ساعة العسرة.
٥٣ - الثلاثة الذين خُلِّفوا.
٥٤ - والله يعصمك من الناس.
٥٥ - القرآن يتحدى.
٥٦ - وجاوزنا ببني إسرائيل البحر.
٥٧ - يا بني اركب معنا.
٥٨ - يوسف عليه السلام في غيابة الجب.
٥٩ - يوسف عليه السلام السجين المظلوم.
٦٠ - سر قميص يوسف عليه السلام.
٦١ - لقاء الأحبة.
٦٢ - ثم استوى على العرش.
٦٣ - حتى يغيروا ما بأنفسهم.
٦٤ - زمزم نبع الأنبياء.
٦٥ - مقام إبراهيم مصلًّى.
٦٦ - ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
٦٧ - أصحاب الأيكة.
٦٨ - فاصدع بما تؤمر.
٦٩ - ويخلق ما لا تعلمون.
٧٠ - وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
٧١ - رياحين البيوت شقائق الرجال.
٧٢ - التي نقضت غزلها.
٧٣ - سبحان الذي أسرى بعبده.
٧٤ - فتية آمنوا بربهم.
٧٥ - صاحب الجنتين.
٧٦ - موسى عليه السلام والعبد الصالح.
٧٧ - ذو القرنين.
٧٨ - يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
٧٩ - واذكر في الكتاب مريم.
٨٠ - ذلك عيسى ابن مريم.
٨١ - واذكر في الكتاب إسماعيل.
٨٢ - واذكر في الكتاب إدريس.
٨٣ - وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
٨٤ - الوادي المقدس طوى.
٨٥ - وجعلنا من الماء كل شيء حي.
٨٦ - النار بردا وسلاما.
٨٧ - حكمة سليمان عليه السلام
٨٨ - وأيوب إذ نادى ربه.
٨٩ - يونس عليه السلام في بطن الحوت.
٩٠ - سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
٩١ - موسى عليه السلام القوي الأمين.
٩٢ - قارون وعاقبة المفسدين
٩٣ - زيد... هو ابن حارثة.
٩٤ - الأحزاب وجنود الله الخفية.
٩٥ - جنات سبأ وجزاء الكفور.
٩٦ - وفديناه بذبح عظيم.
٩٧ - بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
٩٨ - جنة الدنيا ومتاع الغرور.
٩٩ - أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
١٠٠ - للبيت رب يحميه.

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث